الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2241 - السنة الثامنة
الإثنين 2 ذو القعدة 1436 - الموافق 17 اغسطس 2015
Monday 17 August 2015 - No.2241 - 8th Year

جوهر هذا الدين الحنيف هو استخلاف الإنسان في الأرض

الإسلام ... في عصر العولمة

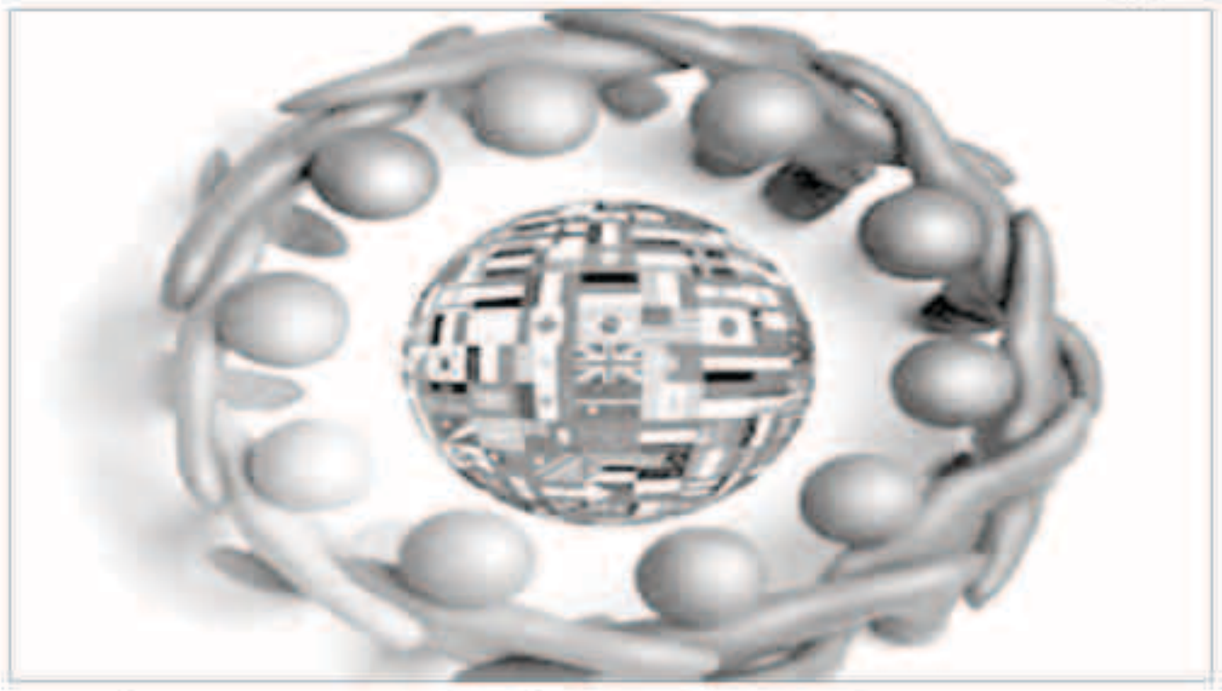

حقيقة الدين الإسلامى ترتكز على أن الخطاب القرآنى موجه للناس جميعاً وليس لقبيلة أو قوم

ان الاسلام هو الذى ختم به الله سبحانه وتعالى جميع الاديان وأراد أن ينسخ بشريعاته السماوية جميع التشريعات الوضعية المؤقتة التى وضعها البشر لادارة الكون، وان جوهر هذا الدين الحنيف هو توجيه استخلاف الانسان فى الأرض حتى يتوصل إلى اقامة أمة متوازنة (أمة وسطا) يسود فيها السلام والعدل والمساواة الانسانية بين الناس جميعا فيعيش الانسان حياة متسقة مع حركة الكون. ومما لا يترك مجالا للشك الحضارات والايديولوجيات والمعتقدات الدينية والفلسفية التى واكبت الموجات الزراعية والصناعية والتكنولوجية قد أثرت العالم ولا تزال آثارها محفورة فى ذاكرة الانسانية. وخلال الخمسين سنة الاخيرة عرفت الانسانية اختراعات مذهلة غيرت وجه العالم إلى جانب الاحداث التاريخية التى هزت كيانه مثل انهيار سور برلين وتفكك الاتحاد السوفيتى الذى كان قطبا سياسيا وايديلوجيا يتقاسم الهيمنة على العالم مع الولايات المتحدة الامريكية. وبهذا الانهيار برزت الولايات المتحدة الامريكية وحدها وكأنها شرطى العالم وانتشر شعور عام لدى الشعوب كل الشعوب والامم بأنه قد آن للتقارب والتكاتف والغاء الحواجز من أجل نظام جديد فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهكذا بدأت تظهر التكتلات الجديدة مثل الاتحاد الاوروبى الذى يسعى حاليا إلى الغاء القومية الوطنية للوصول إلى هوية أوروبية جديدة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

انا اليوم أمام تصور عام جديد للمجتمع العالمى يطلقون عليه مصطلح GLOBALIZATION أى العولمة.

– مفهوم العولمة

ان معظم دول العالم حاليا سواء دول مجموعة الـ8 (GROUP OF 8) وهى المجموعة التى تضم الدول الصناعية الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية وكندا واليابان وانجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا)، وكذلك مجموعة الاتحاد الاوروبى والتى تضم 15 دولة أوروبية إلى جانب بعض دول أوروبا الشرقية، وكذلك معظم دول العالم التى اشتركت فى وضع اطار مفاوضات جولة أورغواي التى تمخض عنها انشاء المنظمة العالمية للتجارة فى جنيف عام 1995، كل هذه الكيانات العظمى التى يدور الكون حاليا فى فلكها اتفقت على جعل العالم بلا حدود وبلا حواجز ليصبح أشبه بقرية صغيرة يعم فيها السلام والرخاء. ولقد جعلوا الاتصال فيما بين دول العالم دائما وميسرا عن طريق شبكة الصالات موحدة هى الانترنت ويريدون أن يخضعوا جميع مواطنيهم لقانون انسانى موحد يطبق على العالم كله وهو الاعلان العالمى لحقوق الانسان، وان يكون هناك نظام اقتصادى واحد وشامل ومتداخل ويخضع لانظمة موحدة تتضاءل لتسير عجلة الانتاج وتعم التكنولوجيا الموحدة كأساس للصناعات. ويريدون فتح الاسواق بلا رسوم جمركية تفرض على بضائع قادمة من دولة أجنبية والغاء الاحتكار بجميع اشكاله وعدم تقييد تداول المنتجات الاجنبية بل تسويقها بنفس اساليب تسويق المنتجات الوطنية وفتح الاسواق الوطنية أمام المنتجات الاجنبية بحيث تكون اسعارها متقاربة من اسعار المنتجات الوطنية وعدم فرض قيود عليها وان يكون للمستهلك حرية شراء المنتجات الوطنية أو المنتجات المستوردة وعدم إجباره على شراء منتجات بلده. هذا ما يسعى العالم إلى تطبيقه وتبذل حاليا الجهود الجبارة لتحقيق هذا الهدف. السياسة الدولية الجديدة التى أطلقوا عليها بالانكليزية مصطلح GLOBALIZATION وهو المصطلح الذى ترجم إلى العربية بكلمة (العولمة). ولكن هذا الكيان الجديد يجب أن يكون فيه مكان للمعتقدات الدينية والفلسفية والايديلوجية لذا فعلى المسلمين أن يسارعوا بالدخول معهم فى صياغة مقاييس العولمة انطلاقا من المفاهيم الاسلامية وهنا يبرز دور علماء الدين الاسلامى ودور المثقفين من العلماء المسلمين وخاصة المقيمين منهم فى الدول الغربية حيث تقع على عاتقهم مسئولية ومهمة تعريف الغربيين بحقيقة الاسلام ومفاهيمه وجوهره إلى جانب المطالبة بأن تؤخذ هذه المفاهيم والخصائص فى الاعتبار عند سن القوانين الجديدة أو اعادة صياغة المواثيق الدولية.

ان الطريق شاق وطويل أمام المسلمين لاقناع العالم بأن الدين الاسلامى لا يتعارض مع المواثيق والقوانين الدولية ولكنه يمكن أن يكملها ويثريها بما فيه من مفاهيم وروحانيات الغرب فى مسيس الحاجة اليها. وان الاسلام ليس دين جمود غير قابل للتطور كما يتصورون بل انه مسموح فيه بالاجتهاد لمسايرة التطور فى العصر الحديث دون المساس بالاسس الراسخة التى لا تقبل التعديل. علينا أن نقارن بين مفاهيم الاسلام ومفاهيم العولمة ونشرح للغربيين بطريقة براغماتية ما هى الاسس التى تحدد معالم الامة الاسلامية التى أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون (خير امة اخرجت للناس). ولعل أهم المفاهيم التى يجب أن نرتكز عليها هى مفهوم عالمية الاسلام ومقولة أن الاسلام يصلح لكل مكان وكل زمان. من البديهى أن كل مسلم يؤمن بان التشريعات الاسلامية المنزلة شاملة وباقية على مر الزمن والعصور، وانها صالحة لكل زمان ومكان. ولكن للاسف فان الغربيين غير المسلمين لا يعرفون ذلك أو لا يريدون أن يعرفوا ذلك. فمانا بامكاننا أن نفعل حتى نوصل لهم رسالة الاسلام الحقيقية ونقنعهم بتشريعاته السماوية الصالحة لكل العصور ولكل الشعوب. ونمحى من ذاكرتهم الصورة المشوهة التى علقت فى أذهانهم عبر القرون عن الاسلام والمسلمين. ان ما يراه الغربيون اليوم من أحوال وأفعال المسلمين وخاصة فى الآونة الأخيرة لا يشجعهم اطلاقا على الاقتراب من الاسلام والمسلمين ومحاولة فهم جوهر الدين الاسلامى وذلك لأن بعض المسلمين او بالاحرى بعض التجمعات الاسلامية المتطرفة يغالى أعضاءها فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وينشددون ويتطرفون ويجرفهم تيار التطرف والغلو إلى العنف والارهاب. هؤلاء المتطرفون يتركون لب الدين الحنيف ويتمسكون بالمظاهر الخارجية والقشور وينسى المتطرفون فى غمرة غلوهم وتشددهم وتطرفهم أن الله سبحانه وتعالى نهانا عن الغلو والتطرف فى كثير من آياته الكريمة.

– الاسلام دعوة عالمية

ان جوهر الدين الاسلامى يرتكز على أن الخطاب القرآنى موجه للناس جميعا وليس لقبيلة أو قوم أو حتى للمسلمين فقط كما يعتقد الغربيون خطأ بل ان القرآن يخاطب البشر كلهم جميعا بلا استثناء والدليل على ذلك أن كثيرا من آياته تبدأ بنداء إلى الناس كافة بقوله تعالى (يا أيها الناس). وكلمة الناس فى اللغة العربية معناها الجنس البشرى فى مقابل الجن أو الحيوان. ولقد وردت كلمة الناس بهذا المفهوم فى القرآن الكريم اكثر من 200 مرة. ونذكر هنا للدلالة على ذلك الآيات الكريمة التالية: (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..) (الآية 13 الحجرات). كذلك قوله تعالى: (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا اعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (الآيات 6–8 الزلزلة). هذا الخطاب ليس موجها للمسلمين فقط ولا للمؤمنين فقط ولكن للجنس البشرى برمته فالناس جميعا يتكونون من ذكر وأنثى وليس المسلمين فقط ويعيشون على الارض فى قبائل وشعوب. فالناس يعيشون دائما فى قبائل وشعوب ويتعارفون بعضهم ببعض. وفى نهاية معيشتهم على الارض يتوفاهم الله، ثم يوم الزلزلة الكبرى يبعثهم من قبورهم جميعا ليريهم أعمالهم على الارض سواء أكانت هذه الاعمال خيرا أم شرا ويحاسبهم الحساب الاعظم عليها بنفس معايير العدل السماوية سواء آمنوا بها فى حياتهم على الارض أو لم يؤمنوا بها. ان مصطلح (الناس) فى الخطاب القرآنى قد اشتمل على البشر أو الانسانية جمعاء، وبالاضافة إلى مصطلح (الناس) استخدم الخطاب القرآنى مصطلح آخر هو (القوم) وقد التصقت هذه الكلمة فى كثير من الآيات باسم المدينة أو البلد التى يعيش فيها القوم أو باسم الرسول الذى أرسل اليهم مثل قوله تعالى: (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط) (الآيات 42 و 43 الحج). ولكن ـ وهذا ما يهمنا فى نطاق بحثنا هذا ـ لم يلتصق اسم النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بكلمة قوم ولم يرد فى الخطاب القرآنى ابدا تعبير (قوم محمد) أو (قوم مكة) بل كان الخطاب الموجه الى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مصاغ بصيغة مختلفة تماما عما ورد بالنسبة لجميع الانبياء والرسل السابقين. لقد وجه الله سبحانه وتعالى خطابه إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) بتعبير آخر مثلما جاء فى هذه الآية الكريمة : (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) (الآية 49 الحج). لماذا هذه الصيغة بالذات للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ لأن الدين الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الاسلام أى ختام الاديان السماوية والكتاب الذى أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) هو القرآن هو (الختمة) كما يقول العامة وهى ليست كلمة عامية بل كلمة عربية فصحى).

– المفاهيم الاسلامية

لم يرد فى الخطاب القرآنى تفضيل قوم آخرين وانما يعتبر الناس جميعا أمة واحدة: (ان هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون) (الآية 92 الانبياء) ولا يقر الاسلام العنصرية أو التحيز لجنس على آخر او تفضيل لون على لون وانما جاء ذكر الالوان فى الخطاب القرآنى للدلالة على قدرة الله فى الخلق: (ومن آياته السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين) (الآية 22 الروم). وجاء الحديث الشريف ليؤكد على أنه لا فضل لقوم على قوم أو للون على لون وإنما معيار التفضيل عند الله يرتكز على دعامة مختلفة تماما: (كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (حديث صحيح).

هذه هى المساواة المطلقة بين البشر بدون تفرقة أو عنصرية أو تمييز بسبب الجنس أو اللون أو العرقية أو اللغة أو حتى الدين، طالما أن المعيار كما جاء فى الحديث الشريف هو لفظ التقوى وليس الاسلام. ان هذه المبادئ التى أرساها الدين الاسلامى وأعلنها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ 14 قرنا من الزمان هى نفس المبادئ والمعايير التى أقرها الميثاق العالمى لحقوق الانسان منذ 50 عاما فقط حيث نصت المادة الثانية من هذا الميثاق على الآتى:

جميع الأفراد لهم نفس الحقوق والحريات دون تفرقة من أى نوع مثل الجنس أو اللون او النوع أو اللغة او الدين او الرأى السياسية أو الوطنية أو الوضع الاجتماعى أو الملكية أو الميلاد أو أى أوضاع أخرى لقد أكد الاسلام على كل هذه المبادئ كمعايير أساسية للحياة فى مجتمع يسود فيه الامن والسلام وهو ما تنادى به الامم المتحدة منذ انشائها ان السلام والسلم ومشتقاتهما من المصطلحات القرآنية التى جاء ذكرها فى القرآن فى أكثر من مائة آية بينما لم تذكر مصطلحات الحرب ومشتقاتها الا 6 مرات فقط، ولا عجب فى ذلك فكلمة (إسلام) نفسها مشتقة من (سلم) فالاسلام يدعو كل الذين آمنوا وليس المسلمين فقط، للدخول فى السلم : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) (الآية 2.8 البقرة)

فالسلم اذن هو القاعدة اما الاستثناء فهو خطوات الشيطان التى تقود إلى الهلاك والى الحروب وحتى ان كانت الحروب مقدر على الانسان ان يخوضها فهو يفعل ذلك كارها: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (الآية 216 البقرة). ولا يقر السلام الا على أساس من العدل بين الناس جميعا واعتبار الناس جميعا سواسية وان اختلفوا فى أطوالهم وألحجامهم الا أنهم يكملون بعضهم بعضا: (الناس سواسية كاسنان المشط) (حديث شريف صحيح).

من منطلق هذه المفاهيم الاسلامية نستطيع أن نؤكد أن الاسلام أقر المساواة بين البشر والعدالة كميزان للعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وفيما بين المجتمعات حيث حث الخطاب القرآنى على احترام العقود والعهود والمواثيق: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) (الآية 91 النحل).

هذا حث صريح على احترام المواثيق والعهود مع المسلمين وغير المسلمين مع كافة البشر وهذا المبدأ هو أساس المواطنة الانسانية لان احترام الكلمة (الايمان) أو العهد يجعل التعامل بين الناس والشعوب مبنيا على الثقة والوفاء والالتزام مما يجعل التعاون والتكافل والتعاضد مفاهيم يجب أن تسود بين الناس جميعا على ركيزة من البر المطلق: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (الآية 2 المائدة).

على هذا الاساس فان التقارب بين الشعوب يكون بالتعاون على الخير والابتعاد عن العدوان وذلك لصالح الانسانية فلا يستطيع أى شعب أن يعيش ولا اية دولة أن تستمر الا بالاندماج فى المجتمع الدولى لتكون عنصرا فعالا من عناصر الاسرة الدولية وتواكب التطور والتقدم فى جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

ان الاسلام دين عالمى يصلح لكل مكان ولكل زمان والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) هو رسول عالمى بل انه النبى الوحيد الذى لم يرسل إلى قوم بالتحديد مثلما سبق وذكرنا فقد خصه الخطاب القرآنى بتعبير إستثنائى ولم يلصق اسمه ابدا باسم قومه أو بلدته أو مدينته بل ذكر اسمه دائما مقترنا بكلمة الناس أى البشر جميعا. وبهذا يكون معنى الآية الكريمة: (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مرسل إلى الأمم جميعا واذا ترجمنا كلمة (الأمم) جميعا إلى الانكليزية أو الفرنسية سنصل إلى MONDE GLOBE والى فنشتق منها GLOBALIZATION و MONDIALISALION أى العولمة وهو ما نود الوصول إليه لنؤكد أن الرسالة المحمدية هى رسالة العولمة التى بعث بها الله سبحانه وتعالى رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ 14 قرنا من الزمان قبل أن يكتشف خبراء الاقتصاد والسياسة الغربيين المفهوم الجديد الذى أطلقوا عليه مصطلح العولمة والذى لم ينتشر فى جميع أنحاء العالم إلا منذ 3 سنوات فقط لا غير، وان الاسس والمبادئ والقيم التى أقرها الاسلام منذ 14 قرنا من الزمان والمرتكزة على المساواة والعدل والسلم والتعاون والالتزام بالمواثيق والعهود والمجادلة مع أهل الكتاب وعدم الغلو فى التعصب وعدم المفاضلة بين الناس أو التفريق بينهم بسبب الجنس أو اللون أو العرقية أو اللغة او الدين، كل هذه الاسس غير معروفة لدى الغربيين وقيما بين صانعى القرارات السياسية والاقتصادية على مستوى العالم. لقد آن الأوان لكى يتحرك المسلمون وخاصة علماء المسلمين لينقلوا هذه الحقائق الى العالم وليستغلوا وسائل الاتصال التكنولوجى المتوفرة حاليا عبر شبكة الانترنت العالمية ليثبتوا للعالم أن الاسلام دين عالمى يصلح لكل مكان وكل زمان وانه لا يتعارض مع التقدم والتطور بل بالعكس انه يتلاءم مع جميع الظروف ويعيش فى كل الاجواء ولعل أبلغ على ذلك هو أن الاسلام عاش فى قلب أوروبا 8 قرون متواصلة فى الاندلس فى اسبانيا وأقام هناك حضارة من أرقى الحضارات التى عرفتها الانسانية فما الذى يمنع الاسلام اليوم من ان يعيد الكرة فى أوروبا وفى أميركا.؟ ان ذلك لن يتحقق الا اذا سارعنا باللحاق بالركب للاضطلاع بدور فعال فى المحافل الدولية. ان الحضور والتواجد الاسلامى فى المحافل الدولية ضئيل وضعيف جدا حيث ان علماء المسلمين لا يذهبون الا إلى المؤتمرات التى تتناول الشئون الدينية البحته ولا يعيرون اهتماما شديدا للمؤتمرات ذات الطابع العام، ان المجتمع الدولى فى حاجة اليهم ليشرحوا للعالم من مفهوم اسلامى رسالة الاسلام الحقيقية من كونها رسالة موجهة للعالم أجمع وليركزوا على مدى ملاءمتها وتفاعلها مع السياق الجديد لتنظيم العالم فى اطار العولمة.

جميع الأفراد لهم نفس الحقوق والحريات دون تفرقة من أي نوع مثل الجنس أو اللون أو النوع أو اللغة

من الإعجاز العلمي في كتاب الله عز وجل

«وأرسلنا الرياح لواقح»

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ [الحجر: 22].

اعتقد بعض المفسرين أن المقصود بالرياح لواقح هو دور الرياح في نقل حبوب اللقاح إلى أعضاء التأنيث في الأزهار ليتم الإخصاب وتكوين الثمار، وهو دور معروف وثابت علميا، ولكن الجملة التي تليها لا تؤيد هذا التفسير فعبارة: فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وهو المطر تدل على أن عملية إرسال الرياح لواقح لها علاقة مباشرة بنزول المطر، واستخدام حرف العطف (ف) الذي يدل على الترتيب والتعقيب، يوحي بسرعة نزول المطر بعد إرسال الرياح لواقح. ولما لم تكن هناك أية علاقة بين تلقيح النباتات وحمل حبوب اللقاح ونزول المطر فلابد أن يكون للآية معنى آخر.

التفسير اللغوي لقوله تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ [الحجر: 22]:

يقول ابن فارس: «اللام والقاف والحاء أصل صحيح يدل على إحبال ذكر لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشبهه، ومنه لقاح النخل والشجر، أما النخل فتلقحها ذكرانها، وأما الشجر فتلقحه الرياح، ورياح لواقح: تلقح السحاب بالماء، وتلقح الشجر»(1).

ويقول صاحب مختار الصحاح: «ل ق ح: لَقَحَ الفحل الناقة والريح السحاب ورياح لَوَاقِحُ، ولا تقل مَلَاقِح وهو من النوادر، وقيل الأصل فيه مُلْقِحَة ولكنها لا تُلْقِح إلا وهي في نفسها لاقِحٌ، كأن الرياح لَقِحَت بخير فإذا انشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه»(2).

وقال صاحب اللسان: «ومعنى الملقوح المجمول، ومعنى اللاقح الحامل، واللَّقْحُ اسم ما أخذ من الفَحَّالِ لِيُدَسَّ في الآخر، واستعار بعض الشعراء اللقح لإنبات الأرضين المُجْدِبة فقال يصف سحابا: لَقِحَ الجِحَافُ له لسابع سبعة ××× فشربْنَ بعدَ تحلُّؤٍ فرويناَ

يقول قبلت الأرضون ماء السحاب كما تقبل الناقة ماء الفحل، وقد يُستعمل ذلك في كل أنثى، فإما أن يكون أصلاً وإما أن يكون مستعارا، وألقحت الريح السحابة والشجرة ونحو ذلك في كل شيء يحمل، واللواقحُ من الرياح التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب، فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا، ومعنى قوله أرسلنا الرياح لواقح أي حوامل، جعل الريح لاقحاً لأنها تحمل الماء والسحاب وتقلبه وتصرّفه ثم تَسْتُدِرّه، فالرياح لواقح أي حوامل على هذا المعنى»(3)، وفي القاموس المحيط: «وألْقَحَتِ الرِّياحُ الشَجَرَ فهي لواقِحُ ومَلاقِحُ»(4).

أقوال المفسرين في قوله تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ [الحجر: 22]:

يقول الطبري: «واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح وإنما هي ملقحة لا لاقحة، وذلك أنها تلقح السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح، وكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح فجعلها على لاقح، كأن الرياح لقحت؛ لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير، قال: وقال بعضهم: الرياح تلقح السحاب فهذا يدل على ذلك المعنى: لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه، وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان: أحدهما: أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح، قال: ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال: أَعَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ [الذاريات: 41]. فجعلها عقيما إذا لم تلقح، قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وإن كانت تلقح كما قيل: ليل نائم ونوم فيه، وسر كاتم، والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه»(5). ويقول ابن كثير: «وقوله تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ أي تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها، وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج: لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعدا»(6). وقال القرطبي: «ومعنى لواقح: حوامل: لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، قال الأزهري: وجعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب، أي تقله وتصرفه، ثم تمريه فتستدير أي تنزله»(7). وقال الوحدي: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ السحاب تمج الماء فيه فهي لواقح، بمعنى: ملقحات، وقيل: لواقح: حوامل: لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب»(8).

إسلام طفيل بن عمرو الدوسي

كان سيدًا لقبيلة دوس في الجاهلية وشريف من أشراف العرب المرموقين وواحدًا من أصحاب المروءات المعدودين، لا تنزل له قدر عن نار، ولا يوصد له باب أمام طارق، يطعم الجائع ويؤمن الخائف ويجير المستجير، وهو إلى ذلك أديب أريب لبيب وشاعر مرهف الحس رقيق الشعور، بصير بحلو البيان ومره حيث تفعل فيه الكلمة فعل الساحر.

عن محمد بن إسحاق قال: كان رسول الله على ما يرى من قومه يبذله لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب، وكان طفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا فقالوا له: أيا الطفيل، إنك قدمت بلادنا فهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت قريبا منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: قال: فسمعت كلامًا حسنًا. قال فقلت في نفسي واثكل أمي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنًا فاعرض علي أمرك فعرض عليّ الإسلام وتلا عليّ القرآن، فوالله ما سمعت قولا قط أحسن ولا أمرًا أعدل منه، وقال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

وكان إسلام الطفيل في مكة بعد رجوع النبي من الطائف بعد دعوة ثقيف إلى إسلامه ورفضهم الإيمان برسالته، وكان ذلك في السنة العاشرة من بعثه النبي . وأمره رسول الله بدعوة قومه إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله اجعل لي آية تكون لي عونا. فدعا له رسول الله فجعل الله في وجهه نورًا فقال: يا رسول الله إني أخاف أن يجعلوها مثلة، فدعا له رسول الله فصار النور في سوطه وكان يضئ في الليلة المظلمة ولذا يسمى ذو النور.

وقد ذكر أيضا أن الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبي وسألوه أن يختبر حاله فأتاه فأنشده من شعره، فتلا النبي الإخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال وعاد إلى قومه